أوراق الورد

رسالة الجاذبية [1]

آهِ لو أستطيعُ أن أُخرجَها ... من زماني ، إنني لا أستطيعْ
آهِ لو أستطيعُ أن أُدخلَها ... في حياتي ، إنني لا أستطيعْ
قَدَرَتْ قُدرتُها فيَّ فلا ... أستطيع قُدرةً ، لا أستطيعْ

***

كلُّ من يكذبُ في الحب قَدَرْ ... إن أطاق الحبُّ واللهِ غَدَرْ
وصحيحُ الحبِّ حبٌّ هَدَرْ ... كلُّما يستطيعُ أن لا يستطيعْ

***

في عينيكِ يا حبيبتي سحرٌ ظاهرٌ بمعانيهِ يُلقي الحبَّ على من ينظر اليهِ
أهو سرُّ الضرورةِ الذي يُشعرنا من معانيكِ الرحيمةِ بمعانيكِ القاسية ؟
أم هو روحُ اضطرابٍ مجهولٍ أودعتكِ القدرةُ إياه ليخلقَ حولكِ المواصفَ القلبية ؟
أم هو استبدادُ الجمالِ الذي خُصِصْتِ بهِ ليكونَ قلبُكِ وحدَهُ في ثورة القلوب كلها ؟
أم هو ذلك المعنى الخالق الذي يُفيضُ على جمالِكِ تميزَ جلتِكِ في شيء شيء وفي حُسْنٍ حسن ؟
أم أنتِ أنتِ وذلك السرُّ في عينيكِ معنى أنتِ ؟

***

دائماً يضيفُ وجهُكِ الى كلامكِ بلاغةً إلهية ، ولو نطقت بألفاظ القوة التي تُشبه أجراسُها صَلْصَلَةَ السلاح لخرجتْ من شفتيكِ متهدة ، ولو تكلمتِ بأشد ألفاظ القسوة لذابت في حلاوة شفتيكِ ، ومتى نطقتِ باسمي خرج من فمكِ سكران . . .
أيُّ سرٍّ هذا الذي يجعلكِ على كل أحوالكِ تَفيضين بالقوة كأنما بُنيتِ على شكل

(١) هذه الرسالة مما كتبه الينا وقد رددت في عليها بكتاب فاية في الجمال سجاه قراء المقتطف في كتاب (أوراق الورد) الذي تقدمه للطبع ان شاء الله في اواخر هذا الصيف

لا يزال يجسمها في نفسه ويبثها من نفسه ؟ إنهُ طابَعُ الجاذبية على القوة

وايُّ ابداع هذا الذي يُظهرك في محاسنك مَظهَرَ كونٍ خُلق كلُّه من الزهر، وهو جميلٌ في مجموعهِ باجزائهِ وفي اجزائهِ بمجموعهِ ؟ إنهُ طابَعُ الالوهية على المعجزة

***

حولكِ ما تحسُّهُ ولا تعرفُ منهُ الاَّ انهُ حولكِ وحسْبُ . والجوُّ الذي انتِ فيهِ ينعكس عن جمالكِ في صورة سحرية فلو أني طُفتُ العالمَ كلهُ لرأيتهُ حولي أينما كنتُ وأبصرتُ وجهكِ دائماً أمام عينيَّ كأني محدودٌ بكِ في حدود مسحورة تَدعُكِ حيث أنتِ وتمضي معي حيث اكون

وما الوجودُ الاَّ السِّبابُ قوى المادة بعضها في بعض . وفي هواكِ تنسابُ القوى من روحكِ في روحي ، فالاصلُ الذي بُني عليهِ الكونُ في مناهضهِ بُنيتِ أنتِ عليهِ في محاسنكِ . كأنما يعرض قوانينهُ التي تحسُّ ولا تُرى في صورة منكِ تحسُّ وتُرى ، وتزيد على الرؤية أنها آخر حدود العشق ، وعلى العشق أنها اول حدود العبادة

أما والله لو ناديتكِ بغير اسمكِ يا حبيبتي لما وضعتُ لكِ الاَّ اسماً من معانيكِ ، ولو سميتكِ بهذه المعاني لما ناديتكِ الاَّ بهذا الاسم العظيم : يا نسويَّةَ العالم . . . .

***

نارية في غير نار . آه من يفهم هذا ؟ ولكني أحسهُ منكِ . حتى لا ارى جسمكِ الاَّ مضيئاً بالشباب والجمال . وتالله اني لاحسكِ في بعض سَبَحَاتي ناراً مُدثرة تُقذفين على قلبي متفجرة فيهِ . ويشتدُّ بي الوجدُ وأضيقُ فما اظن الحبَّ الاَّ عداوة ساخرة تهزأ بالناس فتجيئهم متلطفة في غير اسلوبها وعلى غير طريقتها ومن غير اهلها ، من الحبيب . من الحبيب على انها عداوة . . . .

أتلك تلك يا قلبي نارٌ وتدميرٌ وعداوة ؟ أم انت ترتجف من جاذبيتها على زلزلة لا تهدأ ولا تقرُّ ولابدَّ لها ان تتم عملها بطريقتها الضيقة ؟ إن فيها حركة الجذب وإن فيَّ حركة المقاومة فأنا المتألمُ بطبيعتي لأن انجذابي اليها إن هو الاَّ اصطدامُ معانيَّ بمعانيها والدفاع ما يتحطم الى ما يحطمهُ . ولكن يا لها من عجيبة ! ان هذه هي بعينها هي لذة الحب اذ كان تحطيمهُ فيها هو تبديدهُ فينا . وبذلك يجدّد الحياة أيامها واشياءها ومعانيها ويضع في كل امر غراماً ويجعلُ لكل شيء عيناً كحيلة . . . . . .

وراءك يا حبيبتي فكرة مختفية كأنك انت عَسلُها على حين تظهر كأنما هي من عملك . أيكما يا ترى الخطر المستور بجماله ؟

مع جاذبية الالوان والعطور في ثيابك وحيلاك جاذبية اعطرُ وأزهى في مَنبَس معانيك من المواطف وفي ملبس روحك من الدلال . ولا يَمْدِلك في هذه الفتنة الكاسية الا السماء في فتنها لرجال الارض حين تلبس حرائقها من شَفَق الصبح

يا للجلال ! إذ تفسرُ الطبيعة نفسها الناهضة بامرأة جميلة لتحقق بها في النفس العاشقة وهمَ الكمال الانساني المستحيل الذي يخيّل لها اندماجَ الكون بجلاله العظيم في ذاتية انسانية ، ذاتية المحبوب المخلوقة على مساواة وتقدير من محبها لتجذبهُ وتفتنه فتخرج به من حكم عقله فتنفذ اقدارها في اقداره فتعقد على اطراف حياته بعقدة عاطفة واحدة تستطيع بها المرأة ان تهزمهُ من كل نواحيه بأيسر لمسة

***

انما الكون كهربائية ولا بدَّ في الكهربائية من سلب وإيجاب ، فمن يدري لعل كلَّ متحابين هما مظهرٌ كهربائي لا يحوطهما الا جوُّ النفس المحترقة تشتعلُ بالضحكات كما تلتهبُ بالدموع ، لان هذه وهذه مادةُ حب ساطعة في مظهرين . كاللهب تكون فيهِ مرة شدةُ الانبعاث فكأنما يضحك ، ومرة فترةُ الانطفاء فكأنما يبكي . ويقع الايجاب في السلب فيحدث الحب ، ويحدث فتكون الجاذبية ، وتكون فاذا انسانُ عينيهِ قد احتلَّ انساناً في مادته فتتفاعل اجزاؤها فان يكون الحبُّ والبغضُ منها الا فوق الاعتدال في واحد تتهارب اجزاؤه من اجزاء وفي الآخر يبغي بعضها في بعض

انما هي قوة تلبّست الصورة تعمل بها عملاً في نفسها وتدلُّ بها دلالةً في غيرها . ففي المخلص الشديد معناهُ فيكِ انتِ الحسنُ الخالص الناقي وتفكيري في محاسنكِ معناهُ فيَّ أنا خلق لغة الاشياء الجميلة ليتصلَ عقلي بحقيقتها

وإحساسي بكِ وحدكِ معناهُ في الوجود إحساسي بجماله كلهِ

والآن وانا اكتب اليكِ تمثلين لي فأرى تقاسيم الحسن فيكِ فأقول : وما هذه التقاسيم البديعة ؟

ألا رفقاً بالقلب الذي اجابني إنها تركيب المغناطيس الغرامي وتوزيعهُ في اماكنه على هندسة الجاذبية . رفقاً بالقلب الذي تلسينهُ من جاذبيتك بالنظرة والكلمة والفكرة كأنهُ حولك لانك حوله . . . بالوحي ، والخيال ، والحسن

من اجل الابداع ، والسموّ ، والحب انت في نفسك ، انت في معانيك ، وأنتِ فيَّ

(طبق الاصل) مصطفى صادق الرافعي